الكتاب الناطق - الحلقة 118
لبيك يا فاطمة - ج 34 - ظلامة فاطمة في المكتبة الشيعية ق 9
الاثنين: 2016/8/29م ــ 25 ذى القعدة 1437

✤ في حلقة يوم أمس قلت إنّ حديثي في تلك الحلقة وفي الحلقات التي تليها حتّى ينتهي هذا الفصل، في جملة فصول المباحث التي تناولتها وأتناولها في مجموعة حلقات (لبيّكِ يا فاطمة) هو: ملامح المنهج الأبتر!
فقد تحدّثتُ في الحلقة الماضية في سورة الكوثر، وقلتُ بأنّ هناك منهجيتان:

● منهجيةٌ كوثرية.

● ومنهجيةٌ أبترية.

بعد كلّ ما استعرضتهُ مِن حقائق في مجموعة هذه الحلقات (حلقات: لبيّك يا فاطمة) حتّى وصلتُ إلى المكتبة الشيعية!
وواضح بعد كلّ تلكم البيانات التي تقدّم الحديث حولها أنّ حركة المنهج الأبتري واضحة جدّاً في المؤسسة الدينية الشيعية الرسمية!
هناك تأثّر واضح بالمنهج الأبتر! ولذا في الحلقة الماضية وهذه الحلقة والحلقات التي ستأتي أتحدّث وبشكل مُقتضب - ولكن بالشكل الذي يُوضحّ المطلب - عن ملامح المنهج الأبتر! سأتعرّض لهذه الملامح بشكل إجمالي.

✤ كانت البداية في حلقة يوم أمس مِن الرسائل التي وردتْ إلى الشيخ المفيد من الناحية المقدّسة.

■ ممّا جاء في الرسالة الأولى: (ومعرفتنا بالذلّ الذي أصابكم مُذ جنح كثيرٌ منكم - من الشيعة - إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون)!

■ وممّا جاء في الرسالة الثانية: (ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهْد عليهم، لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا..). واضح أنّ الرسالتين المهدويّتين موجّهتان لنا نحن الشيعة، ولكن بواسطة الشيخ المفيد! فالكلمات صريحة جدّاً في أنّ الإمام يوجّه هذه البيانات لنا نحن الشيعة. وكما قلت بأنّ الشيعة لم تعبأ بما يُريد الإمام عليه السلام!!

● على سبيل المثال: الآن الذين يُشاهدون هذا البرنامج والبرامج السابقة.. كم عرضتُ في هذه البرامج مِن الحُجج الواضحة والأدلّة والبراهين الدامغة ومِن أمّهات المصادر، ورجعوا إلى هذه المصادر ليتأكّدوا بذلك بأنفسهم وتأكّدوا، ولكنّهم مرّوا على كلّ ذلك (مرور البخلاء)!! لم يعبؤا بشيء مِن كلّ ذلك ! هذا هو الواقع الشيعي!

✤ منهجية أهل البيت عليهم السلام هو ربط الشيعة بالأصلين (الكتاب والعترة)، ولكن الشيعة فكّكت بين الأصلين، كما فعلتْ السقيفة بالضبط من دون أيّ فرق!
ثُمّ بعد ذلك انكفأت الشيعة على تقديس علمائها ومراجعها بنفس النحو الذي انكفأ فيه أتباع السقيفة، حيث قدّسوا الصحابة بالرغم مِن أنّهم يرون الأخطاء واضحة! يُبرّرون أخطاء الصحابة بتبرير عجيب غريب.. والحال نفسه عند الشيعة!!

● ربّما أجد مُبرّراً لأتباع السقيفة تقديسهم للصحابة، فإنّ في القرآن آيات تمدح الصحابة في القرآن! أمّا علماء ومراجع الشيعة فهم أناس عاديون، لهم احترامهم بالقدر الذي يتناسب والخِبرة التي يحملونها فقط لا أكثر من ذلك! (هذه منهجية الأئمة).

✤ حين أنتقد المرجع (س) أو المرجع (ص) تقوم الدنيا عند أتباعهم ولا تقعد!! وهذه العوارض تُشير إلى إصابة القوم بدودة السقيفة (بمرض الصنمية)!! فضلاً عن الجهل بمنهجية أهل البيت! لو أنّ الشيعة ثُقّفتْ بثقافة آل محمّد عليهم السلام، لعلمتْ أنّه ما مِن شخص مِن أقرب الناس إلى محمّد وآل محمّد صلوات اله عليهم إلّا وفيه عيب! والجميع تعرّضوا للنقد ولبيان عيوبهم من قِبَل نفس المعصومين (وكلٌّ بحسبه). أجلّاء أصحاب الأئمة وقعوا في اشتباهات كبيرة (عقائدية، شرعية، أخلاقية..) بقصد، مِن دون قصد.. الأئمة عابوهم وانتقدوهم وقالوا ما قالوا فيهم! وعلماء ومراجع الشيعة لا يصلون إلى ذرّات تراب في أحذية أصحاب الأئمة !! ورغم ذلك علماء الشيعة يُمزّقون أصحاب الأئمة شرّ تمزيق بحسب قواعد ظنيّة واحتمالية سُمّيت بقذارات علم الرجال!!
بينما حين أعرض أقوال يقينية قالها العلماء في كتبهم تتحدّث عن سوء اعتقادهم - أي هؤلاء العلماء - وعن جهلهم وتتحدّث عن سفاهة عقولهم، وعن حماقتهم وعن رذالتهم في بعض الأحيان.. يُرفض انتقادهم ويُدافع عن أخطائهم!! مع أنّ هذه الحالة من الخطأ والاشتباه حالة طبيعية كلّنا نمرّ فيها!

■ المشكلة هي أنّه لماذا لا نسعى لتصحيح أوضاعنا الخاطئة؟!
لذلك نحن نحتاج المعصوم.. فحاجتنا للمعصوم بسبب مشاكلنا هذه التي هي جزء مِن خِلقتنا، وجزء مِن تكويننا!

✤ حينما نُشخّص خطأً اعتقادياً عند عالم مِن العلماء، فهذا لا يعني أنّ هذهِ نهاية العالم! نهاية العالم بالنسبة لذلك المرجع أو العَالِم هي حينما يُصرّ على خطئه! وهي نهاية العالم أيضاً بالنسبة لأتباعه ومُريديه وتلامذته! أمّا حينما يكون هناك خطأ عند العالم في درس، في محاضرة، في كتاب، فما هذه بنهاية العالم، ولكن الذين أُصيبوا بالصنمية هم الذين يتصوّرون أنّ هذا الأمر هو نهاية العالم!!
لذا في هذه الحلقات التي قلتُ بأنّني سأتناول فيها ملامح المنهج الأبتر، رجائي أن تتمعّنوا في المضامين التي سأنقلُها لكم.

✤ تسرّب إلينا المنهج الأبتر حتّى في زمان الأئمة، ولكن الأئمة كانوا موجودين.. وتسرّب المنهج الأبتر إلينا في زمان الغَيبة الصغرى، ولكن النوّاب الخاصّين موجودون! مُشكلتنا نحن بدأت حينما انتهتْ الغَيبة الصغرى! حين توفّي السفير الرابع السمري في مُنتصف شعبان عام 329 هـ.. مُشكلتنا بدأت مُنذ الساعات الأخيرة مِن ذلك اليوم، وبدأتْ الغَيبة التامّة (الغَيبة الثانية).

● أين أعطتْ الشيعة وجوهها في أمور دينها مع بدايات الساعات الأولى مِن عصر الغَيبة الكبرى؟ (على الأقل أينَ أعطتْ وجوهها في مسائلها الشرعية الابتلائية اليومية؟ في تفاصيل حياتها، في بيعها وشرائها، في طقوسها وعباداتها وتفاصيل حياتها الدينية والدنيوية؟!)
أين أعطت الشيعة وجهها؟ الجواب: الشيعة أعطتْ وجهها لابن الجنيد، ولابن عقيل العماني!!
(وقفة عند شخصية ابن الجنيد مَن هو؟ وكيف تعاملتْ معه الشيعة.. يتبيّن مِن خلال هذه الوقفة الملمح الأوّل مِن ملامح المنهج الأبتر، وهو: ملمح الصنمية في الواقع الشيعي).

✤ (ابن الجنيد الإسكافي البغدادي) عالم مِن علماء الشيعة، وكان موجوداً في زمان الغَيبة الصغرى.. ولكنّه لم يكن مُبرّزاً.
مِن خلال القرآئن والشواهد والتتبّع لتفاصيل حياته وتفاصيل الغَيبة الصغرى نجد أنّ ابن الجنيد كان في بغداد وكان مُعاصراً للكليني.. (والكليني توفّي قبل وفاة السفير الرابع بسنة). كانت مؤلّفات ابن الجُنيد مُنتشرة في الوسط الشيعي، وانتشرتْ انتشار واسع بعد زمان الغَيبة الصغرى.. وكان مُعاصراً لعزّ الدولة البويهي - الشخصية البويهية المعروفة التي سيطرتْ على السياسة في بغداد - وكان عالماً معروفاً ومرجعاً ترجع إليه الشيعة في زمان عزّ الدولة البويهي، وكتبه انتشرتْ انتشار واسع آنذاك.

■ ابن الجنيد شخصية تأثّرتْ تأثّراً كبيراً بالفكر المخالف لأهل البيت، ومِن أدلّ الأدلّة عليها اعتراضات الشيخ المفيد على ابن الجنيد، برغم أنّ الشيخ المفيد كان تلميذ من تلامذة ابن الجنيد! وقد ألّف الشيخ المفيد كُتباً في ذلك أبدى فيها اعتراضاته على ابن الجنيد!

✪ وقفة عند ما يقوله السيّد مهدي بحر العلوم عن ابن الجنيد في كتاب [الفوائد الرجالية: ج3] أو المعروف بـ [رجال السيّد بحر العلوم] يقول: (محمّد بن أحمد ابن الجنيد أبو علي الكاتب الإسكافي مِن أعيان الطائفة وأعاظم الفرقة وأفاضل قدماء الإمامية، وأكثرهم علْماً وفِقهاً وأدباً، وأكثرهم تصنيفاً، وأحسنهم تحريراً، وأدقّهم نظراً، مُتكلّم فقيه مُحدّث أديب، واسع العلم، صنّف في الفقه والكلام والأُصول والأدب والكتابة وغيرها) ثُم يعدد مُصنّفاته.
هذا الأسلوب، وهذه الطريقة في عرض الشخصيات بهذا النحو توحي للمُتتبع بأنّ هذه الشخصية شخصية مُتكاملة .. وهذه الظاهرة ظاهرة مُنتشرة وواضحة في كتب التراجم. والغريب أنّ هؤلاء الرجاليون حين يُمسكون برواة حديث أهل البيت يُمزّقونهم شرّ تمزيق، وحين يتحدّثون عن العلماء أمثالهم لا يتركون كلمة في المديح إلّا وجاؤوا بها! يمدحونهم مدحاً مُنقطع النظير في بداية الترجمة وفي نهايتها! (راجعوا أعيان الشيعة - روضات الجنّات - رياض العلماء - معارف الرجال - طبقات أعلام الشيعة.. وغير ذلك).

■ أيضاً يقول عنه في صفحة 207 : (وهذا الشيخ - على جلالته في الطائفة ورياسته وعِظَم محلّه - قد حُكي القول عنه بالقياس، ونقل ذلك عنه جماعة مِن أعاظم الأصحاب. ومع ذلك فقد أثنى عليه علماؤنا وبالغوا في إطرائه ومدحه وثنائه. واختلفوا في كتبه: فمنهم مَن أسقطها، ومنهم مَن اعتبرها، ونحنُ ننقل ما وقفنا عليه مِن كلامهم ثُمّ نُتبعه بما عندنا في ذلك)!!
لماذا يُعبّر السيّد مهدي بحر العلوم بهذا التعبير ويقول (قد حُكي القول عنه بالقياس) الذي قال عنه بأنّه يعمل بالقياس هو الشيخ المفيد وهو تلميذه.. فهل الشيخ المفيد ليس ثقة حتّى يُقال (وقد حُكي عنه) ولا يذكرون اسم الشيخ المفيد؟!

● حينما يتبنّى ابن الجنيد هذه المنهجية المُخالفة بشكل واضح لمنهجية أهل البيت عليهم السلام، فهذا يُشير إلى أن عقله مدخول.. أي فيه شُبهة (دخل إلى عقله ما أربكَ طريقة تفكيره!!). وحتّى علماؤنا عقولهم مدخولة.. لأنّهم أثنوا على ابن الجنيد وعقله مدخول!!
(وقفة عند القصّة المعروفة لزيارة السيّد عبد الحسين شرف الدين لقبر حجر بن عدي، والتي تُبيّن كيف تعامل إبليس مع أصحاب السقيفة، فجعلهم يُصنّمون القاتل والمقتول في الصحابة ويحترمونهم ويترضّون عنهم جميعاً على حدّ سواء)!!
هذه المنهجية التي نسخر منها موجودة على طول الخط، وهي نفس المنهجية التي نحن عليها في لواقع الشيعي!! (المراجع والعلماء يُخطئون في حقّ أهل البيت، وينتقصون منهم، والمراجع يُحاربون بعضهم بعضاً، ويُفسّقون بعضهم بعضاً، ويُعرض عليكم كلّ ذلك بالوثائق، ومع ذلك الجميع مُحترمون وهم نوّاب الإمام - بنظر الشيعة - ولا يقبلون نقدهم)!!
فما الفارق بينهم وبين هذا الذي يُشرف على مقام حجر بن عدي؟!

● السيّد مهدي بحر العلوم يقول (فقد أثنى عليه علماؤنا وبالغوا في إطرائه ومدحه وثنائه. واختلفوا في كتبه) إذا كانوا مُختلفين في كُتبه، لماذا هذه المُبالغة في إطرائه ومدحه؟ أليستْ هذه هي الحماقة بعينها؟!

✪ وقفة عند ما يقوله الشيخ الطوسي في كتابه [الفهرستْ] في ترجمة ابن الجنيد.. يقول:
(وكان جيّد التصنيف حَسَنه إلّا أنّه كان يرى القول بالقياس، فتُركتْ لذلك كتبه ولم يُعوّل عليها، وله كتب كثيرة).
وحسب هذا الكلام فإنّ الشيخ الطوسي قد رأى بنفسه القول بالقياس في كتب ابن الجنيد.. فلماذا يقول السيّد مهدي بحر العلوم (قد حُكي القول عنه بالقياس) ألا يرى السيّد بحر العلوم كلام الشيخ الطوسي دقيقاً أيضاً؟!

✪ وقفة عند ما يقوله الشيخ المفيد عن ابن الجنيد في كتابه [المسائل السروية] يقول: (فأمّا كُتب أبي عليّ بن الجنيد، فقد حشاها - يعني ملأها - بأحكام عمل فيها على الظن - أي القياس -، واستعمل فيها مذهب المُخالفين في القياس الرَذِل، فخلطَ بين المنقول عن الأئمة عليهم السلام وبين ما قاله برأيه - هو).

أنا تعمّدتُ أن أقرأ كلام الشيخ الطوسي قبل كلام الشيخ المفيد، كي تُقارنوا بين كلام الشيخ المفيد - الذي قاله قبل الشيخ الطوسي - وبين ما قاله الشيخ الطوسي في كتابه [الفهرستْ] عن ابن الجنيد. (وكتاب الشيخ الطوسي أُلّف بعد وفاة الشيخ المفيد)!! ألا تُلاحظون أنّ كلام الشيخ الطوسي خفّف كلام الشيخ المفيد الواضح الصريح إلى حدٍّ بعيد؟!!

علماً أنّني لا أقول بأنّ الشيخ المفيد معصوم.. ولكنّي أثق بما يقوله عن ابن الجنيد لسببين:

● أولاً: لأنّ الشيخ المفيد يعرف ابن الجنيد فهو تلميذ عند ابن الجنيد، ولا أتوقّع أن يكذب على ابن الجنيد.

● وثانياً: حينما أرجع إلى ما بقي بأيدينا مِن فكر ابن الجنيد وأقواله، فإنّي أجد أنّ أقوال الشيخ المفيد تنطبق على أرض الواقع 100%.

■ إلى أن يقول الشيخ المفيد في موطن آخر مِن كتابه المُعنون بـ[المسائل السروية] يقول: (وأجبتْ عن المسائل التي كان ابنُ الجنيد جمعها وكتبها إلى أهل مِصر، ولقبها بـ (المسائل المصرية) وجعل الأخبار فيها أبواباً، وظنّ أنّها مُختلفة في معانيها، ونسب ذلك إلى قول الأئمة عليهم السلام فيها بالرأي، وأبطلتُ ما ظنّه في ذلك وتخيّله، وجمعتُ بين جميع معانيها حتّى لم يحصل فيها اختلاف).

✪ وقفة عند ما يقوله النجاشي عن ابن الجنيد في كتابه [رجال النجاشي]، يقول:

(وجه في أصحابنا، ثقة جليل القدر، وصنّف فأكثر..) إلى أن يقول: (وقد سمعتُ شيوخنا الثقات يقولون عنه: إنّه كان يقول بالقياس. وأخبرونا جميعاً بالإجازة لهم بجميع كتبه ومُصنّفاته، وسمعتُ بعض شيوخنا يذكر أنّه كان عنده مالٌ للصاحب عليه السلام وسيف، وأنّه كان أوصى به إلى جاريته فهلك ذلك - أي هلك المال والسيف)

كلام النجاشي فيه مدحٌ صريح لابن الجنيد، وأشار إلى أنّ جميع كُتب ابن الجنيد قد وصلت بالإجازة إليه - أي إلى النجاشي!!

● كلام الشيخ المفيد كان حادّاً وشديداً وواضحاً وقاطعاً، ثُمّ خفّفه الشيخ الطوسي فقال (فتُركتْ لذلك كتبه) وأمّا النجاشي فيقول (وأخبرونا جميعاً بالإجازة لهم بجميع كتبه ومُصنّفاته) يعني أنّ الكُتب لم تُترك وإنّما تداولها العلماء!!

✪ وقفة عند ما يقوله العلّامة الحلّي في ابن الجنيد في كتاب [الفوائد الرجالية]:

(وقع إليّ مِن كُتب هذا الشيخ المُعظّم الشأن [كتاب الأحمدي في الفِقه المُحمّدي] وهو كتاب جيّد يدلّ على فضل هذا الرجل وكماله وبلوغه الغاية القصوى في الفقه وجودة نظره)!! إلى أن يقول: (وأنا ذكرت خلافه واقواله: في كتاب كذا... إلخ)

● كتاب [الأحمدي في الفِقه المُحمّدي] هو أهم كُتب ابن الجُنيد.. والعلامّة الحلّي يمدح هذا الكتاب مدح كبير! في حين أنّ الشيخ المفيد حين تحدّث عن كُتب ابن الجُنيد قال: (فقد حشاها بأحكام عمل فيها على الظن، واستعمل فيها مذهب المُخالفين في القياس الرَذِل...)!! علماً أنّ هذا الكلام الذي قاله العلّامة الحلّي مدْحاً لكتاب ابن الجنيد، قاله وهو يُتابع فيه (خاله وأستاذه في نفس الوقت: المحقّق الحلّي)! ونفس الشيء مُحمّد ابن ادريس الحلّي! فهؤلاء مجّدوا بابن الجنيد كثيراً، ومَن تبعهم بعد ذلك!

يقول: (وأمّا المتأخرون مِن أصحابنا كالشهيدين والسُيوري - أي المقداد السيوري - وابن فهد والصيمري والمُحقّق الكَرَكي وغيرهم، فقد أطبقوا - أي اتّفقتْ كلمتهم - على اعتبار أقوال هذا الشيخ والاستناد إليها في الخلاف والوفاق..). فأين كلام الشيخ المفيد.. وأين كلام المراجع ؟! (هكذا اخترُقنا وإلى يومك هذا)!! علماً أنّ هذا مثال بسيط.. والقضيّة أكبر مِن ذلك بكثير!!

✤ معلومة مهمّة جدّاً: أتعلمون أنّ أوّل مَن أقحم فكر ابن الجنيد الأخطل الأعوج في الفكر الشيعي بشكل قوي وشرعن له هو السيّد المرتضى المُلقّب بعَلَم الهدى في الوسط الشيعي!! الشيخ المفيد حمل حملة شعواء على ابن الجنيد.. ولكن بعد وفاة الشيخ المفيد حين صارتْ المرجعية للسيّد المرتضى - الذي تأثّر بالفكر الاعتزالي - أقحم السيّد المرتضى فكر ابن الجُنيد في الفكر الشيعي!!

✪ يقول السيّد بحر العلوم، وهو يتحدّث عن السيّد المرتضى وأنّه هو الذي أقحم فكر ابن الجنيد في الفكر الشيعي وأنّه كان يُرقّع لابن الجنيد، يقول: (وممّن يحكي قول أبن الجنيد، ويعتبر ما في الإجماع والنزاع مِن القدماء السيد الأجل المرتضى، فإنّه قد أكثر النقل عنه والاعتذار عن مُخالفته في بعض المسائل)!!

(وأكرّر أنّه لا بسوء نية، وإنّما علماؤنا خدعهم الشيطان، وخدعتهم أمور كثيرة أخرى)!

✤ حقيقة تتعامى عنها الشيعة، وهي: أنّنا بشرٌ خطاؤون، ولإبليس سُلطانٌ علينا.. وخصوصاً على علماء الدين! لأنّ العلماء إن فسدوا فسدتْ الأمّة!! فهل يصرف إبليس وقته على شخصٍ لا يُؤثّر إلّا على نفسهِ! أم يذهب ليصرف وقتاً وليُخطّط وليعمل بالتأثير على شخص (هذا الشخص حينما يُخطىء الأمّة بكاملها ستعثر؟!) قطعاً سيذهب إبليس إلى المرجع ويشتغل على المرجع، ويخدع المرجع! وأدلّ دليل على ذلك هذه الأقوال التافهة للمراجع التي قُرأتْ على مسامعكم في هذا البرنامج وفي برامج أخرى!

● البناء الذي يبنيه المراجع المُعاصرون هو استمرار للبناء الذي بناه المراجع السابقون، وأنتم تُلاحظون كيف تُبنى الأمور! حين أنتقد ذلك، يُعتبر ذلك كُفراً!!

• بالنسبة للمُؤسسة الدينية لا شأن لي بها؛ لأنّ مصالح المؤسسة الدينية تقتضي أن يقولوا ذلك (مناصب، وأموال، وتوريث مرجعيات، وشهرة وسُلطة....) وإلى غير ذلك!

• أمّا الشيعة فقد عصفتْ الصنمية برؤوسهم، وأعمتْ أبصارهم وبصائرهم، وأصمّت أسماعهم وقلوبهم!! وهذه الصنمية نقلها إبليس إلى الشيعة من السقيفة (فإنّ أتباع منهجية السقيفة يُصنّمون الصحابة على كلّ حال)!!

✤ وقفة عند حديث أبي حمزة الثّمالي مع الإمام الصّادق في [معاني الأخبار]: (قال أبو عبد الله عليه السّلام: إيّاك والرئاسة، وإيّاك أن تطأ أعقاب الرجال، فقلتُ: جعلتُ فداك: أمّا الرئاسة فقد عرفتها - يعني عرفتُ أنّك تنهاني عن طلب الرئاسة والزعامة، وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال- أي تبعتُ العلماء وأهل العلم وتعلّمت منهم - فما ثلثا ما في يدي - من العلم - إلّا ممّا وطئتُ أعقاب الرجال، فقال: ليس حيث تذهب، إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحُجّة فتصدّقه في كلّ ما قال)!

هذا الذي حذّر مه الإمام عليه السلام في الرواية هو بالضبط الذي تصنعه الشيعة!! ينصبون رجالاً دُون الحجّة، ويُصدّقونهم في كلّ شيء (في الفتاوى وفي التحليل السياسي وفي تقييم الأشخاص وتقييم المناهج الفكرية.. وفي كلّ شيء)!!!

■ حينما تقوم الأدلّة والحقائق على فساد صهْر المرجع أو ابن المرجع.. والمرجع يُصدر بياناً منهُ أو مِن مكتبه برضاه لتوثيق ذلك الصهْر أو ذلك الولد أو ذلك الوكيل! كيف تُصدّقون ذلك بعد قيام الأدلّة على فساد أولئك ؟! أنتم تُصدّقون توثيق المرجع المخالف للحقائق؛ لأنّ عقولكم أكلتها الصنمية! وهذا ما يُحذّر منه الإمام الصادق عليه السلام في الرواية حين يقول: إيّاكَ أن تنصب رجلاً دون الحجّة فتُصدّقه في كلّ ما قال!

✤ وقفة عند حديث الإمام الصادق عليه السلام في [معاني الأخبار]: (قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سفيان إيّاك والرّئاسة، فما طلبها أحد إلّا هلك، فقلت له: جعلتُ فداك .. قد هلكنا إذاً، ليس أحد منّا إلّا وهو يحبّ أن يُذكر ويُقصد ويُؤخذ عنه - العلم والفكر-، فقال: ليس حيث تذهب إليه، إنّما ذلك أن تنصب رجلاً دون الحُجّة فتصدّقه في كلّ ما قال، وتدعو الناس إلى قوله)!

الإمام هنا يتحدّث عن هلاك الدين، عن الضلال، عن العاقبة السيئة، عن النهاية السوداء!!

وهذا الأمر الذي حذّر منه الأئمة في نصب رجل دون الحجّة، ودعوة الناس إلى قوله هو بالضبط ما تقوم به مكاتب المراجع (بأولادهم وأصهارهم) وما يقوم به وكلاء المرجعية، وطَلَبة الحوزة، والأخطر من أولئك: خطباء المنبر الحسيني، لأنّ منابرهم مُنتشرة على طول السنة في كلّ الأزمنة وفي كلّ الأمكنة! كلّ هؤلاء يدعون الناس إلى قول ذلك المرجع (س) أو (ص) يعني تصديقه في كلّ ما يقول.. ويُعلمون الناس أن يرفضوا أيّ انتقاد للمرجع، بل يُعلّمون الناس هذه القاعدة: أن إذا سمعتم أي شخص ينتقد المراجع فاعلموا أنّه ضال، وعميل وكافر... إلخ!! فهم بحسب كلام المعصوم يقودون الناس بهذه الصنمية إلى الهلاك!! وهذا هو المنهج الأبتر، لأنّه يبتر العلاقة فيما بينكم وبين إمام زمانكم! ويخيط لكم علاقة جديدة مع شخص عادي.. أنتم تضعون له الألقاب، ولو تعيشون معه يوماً واحداً في بيتهِ لوجدتم أنفسكم أفضل منه!!

✤ أنا الآن أسأل الحسينيين: هذه حُسينيّاتكم التي عُلّقتْ فيها صور للمرجع (س) أو المرجع (ص).. أسألكم جميعاً: لو أنّ أحداً انتقد رموزكم، انتقد صنمكم وعجلكم هذا الذي نصبتموه عجلاً بشرياً، ماذا ستقولون؟! إن لم تعتدوا عليه اعتداءً واضحاً بحيث يُضرب ويُهان، فسوف لن تفسحوا له مجالاً في الحسينية، وستُحاصرونه من كلّ مكان، حتّى تُخرجوه، وتنفرون منه!!

■ السؤال هنا: هل يُنتقد المرجع أو لا؟! إذا كان الجواب لا يمكن أن يُنتقد .. فهذا هو الذي حذّرت منه الروايات!! (نصب رجل دون الحجّة، وتصديقه في كلّ كلامه، بحيث لا يُقبل فيه أيّ نقد أبداً)! هذهِ هي الصنمية التي قتلتكم، وستقتلكم إن أدركتم الإمام الحجّة وأنتم على هذا الحال!! أو ستقتل أولادكم وأحفادكم لأنّكم تُورّثونهم هذهِ الصنمية بقصدٍ ومِن دون قصد!!

✤ مثل ابن الجُنيد عندنا المئات على طول التأريخ الشيعي منذ بدايات عصر الغَيبة الكبرى وإلى يومنا هذا! ومثال معاصر على ذلك: محمّد حسين فضل الله!

فقد صار جزءاً مقبولاً في الواقع الشيعي! في البداية صارت له عملية رفض.. وهي غير حقيقية (فنفس العلماء الذين انتقدوه، رجعوا ووقعوا في أحضانه مرّة أخرى، وهم يقولون بنفس أقوله!!) القضية كانت موجة شعبية وإعلامية وفيها أبعاد سياسية وغير ذلك! ولكنّه الآن صار جُزءاً من الواقع الشيعي! وبعد سنوات سيكون قوله هو القول المُقدّم!!

علماً أنّ محمّد حسين فضل الله ليس المثال الوحيد المعاصر.. بل يوجد غيره كثيرون!

✤ وزير عبّاسي ناصبي يرى في المنام أنّ أمير المؤمنين هو الذي أطلق على السيّد المرتضى لقب (علم الهدى) فيُصدّق هذا الكلام ويُنسب إلى أمير المؤمنين مِن دون البحث عن أصل القصّة وصحّتها!! والسبب لأنّ القصّة فيها مدح للعلماء! فحين يُمدح السيّد المرتضى يفتح باباً لمدح بقيّة العلماء والمراجع!

في حين أنّ أحاديث أهل البيت يُشكّكون فيها ويُثيرون الإشكالات حولها وعلى صحّة سندها عملاً بقذرات علم الرجال!!

✤ وقفة عند رواية الإمام الباقر عليه السلام في كتاب [اختيار معرفة الرجال] المعروف بـ[رجال الكشّي] والتي يتحدّث فيها عن ارتداد الناس بعد واقعة السقيفة: (عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو جعفر - الإمام الباقر عليه السلام -: ارتدّ الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد قال: قلتُ: فعمّار؟! قال: قد كان جاض جيضة ثمّ رجع - يعني انحرف شيئاً ما ومال عن الطريق ثُمّ رجع - ! ثمّ قال: إنّ أردتَ الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد،
فأمّا سلمان فإنّه عرَضَ في قلبه - عارض - أنّ عند أمير المؤمنين اسم الله الأعظم، لو تكلّم به لأخذتهم الأرض، وهو هكذا، فلُبّب - أي قُيّد - ووُجئتْ عُنُقه - أي ضُربت ضرباً شديداً - حتّى تُركتْ كاللسعة، فمرّ به أمير المؤمنين، فقال له: يا ابا عبد الله هذا - أي هذا الضرب- من ذاك - الشعور الذي طرأ في قلبك -، بايع، فبايع،
وأمّا أبو ذر فأمره أمير المؤمنين بالسكوت، ولم يكن يأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلّا أن يتكلّم، فمرّ به عثمان فأمر به..)

✤ حتّى مقداد الذي مُدح، فقد قال فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الرواية :
(يا سلمان لو عُرض علمكَ على مِقداد لكفر، يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر)!!
إذاً ما مِن أحدٍ حتّى هؤلاء (سلمان والمقداد وعمّار وأبي ذر) هكذا يتحدّث عنهم الأئمة.. فلا تستطيع أن تنصبهم (أي سلمان والمقداد وعمّار وأبي ذر وأمثالهم) لا تستطيع أن تنصبهم دون الحجّة! مع أنّ هؤلاء مِن أهل الحقائق وأصحاب البصائر! فما بالك بعلمائنا الذين لا يملكون عِلماً! والذين لا يصل عُلماؤنا إلى ذرّة تراب في أحذيتهم! الكامل فقط الحجّة بن الحسن!
إذا أردتم أن تعرفوا دينكم فاعرفوا دينكم مِن مناهج آل مُحمّد صلوات الله عليهم ولذلك صاحب الأمر أرجعكم إلى رُواة حديثهم - ما داموا يروون حديث آل محمّد - فإذا انقطعوا عن حديث أهل البيت فلا حجّية لهم!!
هؤلاء العلماء الذين ينتقصون من فاطمة هل تكون لهم الحجّية؟! وهل ينطبق عليهم هذا الوصف أنّهم رواة حديث أهل البيت؟!

✤ أذكّركم في الأخير برواية الإمام الصادق عليه السلام: (اعرفوا منازل الرجال منّا على قدر رواياتهم عنّا).
وكذلك وصيّة الإمام الهادي عليه السلام لأبناء ماهويه حين سألا الإمام عمّن يأخذان معالم دينهما، فقال لهما الإمام عليه السلام: (اصمدا في دينكما على كلّ متينٍ في حُبّنا، وكلّ كثير القدم في أمرنا، فإنّهما كافوكما إنْ شاء الله تعالى).